مجلة مؤتة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد الثامن والثلاثون، العدد الثاني، 2023.
http: 10.35682/0062-038-002-003

زيارة العلماء لدمشق من خارج بلاد الشام (471- 571هـ/ 1078- 1175م) دراسة في الأسباب والآثار من خلال تاريخ دمشق لابن عساكر (ت 571هـ/1175م)

أصيلة محمد خلف محمد الزعابي *

عصـــام مصطفـــى عقـــلة

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن العلماء الذين زاروا دمشق، واستقروا بها لفترة من الزمن أو استقروا بها استقراراً كاملاً، والأسباب التي دفعتهم لزيارتها، وما مدى أثرهم في الحياة الثقافية في دمشق أو تأثرهم بالحياة الثقافية الدمشقية، وتحاول الدراسة التعرف إلى المناطق الجغرافية التي قدموا منها، وتخصصاتهم العلمية، ومذاهبهم الفقهية، كما تحاول رصد معارفهم، والعلوم التي نشروها في دمشق، أو العلوم التي أخذوها من علماء دمشق ونشروها في بلادهم. وقد خلصت الدراسة إلى قيام قرابة المئة وخمسة من العلماء بزيارة دمشق، وأنهم قدموا إليها من معظم أنحاء العالم الإسلامي آنذاك، وأن أسبابهم لزيارتها تعددت لكن أبرزها كان طلب العلم، وطلب الوظائف، وزيارة القدس، وأن تأثرهم بالثقافة الدمشقية كان كبيراً حيث نقلوا العديد من روايات الشام، وكتب مؤلفيها إلى الأمصار الإسلامية، كما أنهم نقلوا لدمشق الكثير من المعارف والمصنفات.

الكلمات الدالة: العلماء، زيارات، دمشق، ابن عساكر.

* **قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الشارقة.**

تاريخ تقديم البحث: 2020/7/18. تاريخ قبول البحث: 2020/9/2م .

© جميع حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة، الكرك، المملكة الأردنية الهاشمية، 2023 م.

Scholars' Visit to Damascus from outside of the Levant (471- 571 AH / 1078-1175 CE): A study of the Causes and Effects through *The History of Damascus* for Ibn Asaker (d. 571 AH / 1175 CE)

Aseela Mohamed Khalaf Alzaabi *

aseelaalzaabi@gmail.com

Issam Mustafa Okleh

Abstract

This study aims to reveal i) the scholars who visited Damascus, and settled there for a period of time or settled there completely, ii) the reasons that prompted them to visit it, and iii) the extent of their impact on the cultural life in Damascus or their influence on the Damascene cultural life. The study attempts to identify the geographical areas from which they came, their scientific disciplines, and their jurisprudential doctrines. It also tries to monitor their knowledge, the sciences they spread in Damascus, or the sciences they took from the scholars of Damascus and spread in their country. The study concluded that about one hundred and five scholars visited Damascus, and that they came to it from most parts of the Islamic world at the time, and that their reasons for visiting it were numerous, but the most prominent of which was seeking knowledge, seeking jobs, and visiting Jerusalem, and that their influence on the Damascene culture was great, as they transferred many of the Levant's narratives and the books of their authors to the Islamic regions. They also transferred to Damascus a lot of knowledge and works.

Key words: Scholars, Visits, Damascus, Ibn Asaker.

* Department of History, College of Arts, University of Sharjah.

Received: 18/7/2020. Accepted: 2/9/2020.

© All rights reserved to Mutah University, Karak, The Hashemite Kingdom of Jordan, 2023.

المقدمة:

بقيت دمشق لمدة مئة عام تقريباً تحت حكم الفاطميين تتعرض خلالها لتهميش من قبل الفاطميين، مما أدى إلى تراجع الحركة العمرانية والاقتصادية والعلمية فيها (Okleh 2017: 1-2)، ثم بدأت دمشق تستعاد لصالح الخلافة العباسية بدءاً من القادة الأتراك من غير الأسرة السلجوقية (Okleh 2017: 49) ثم خضعت لحكم السلاجقة منذ سنة 471هـ/1078م، وتعاقب عليها خلال المئة عام اللاحقة التي تنتهي سنة 571هـ/1175م تاريخ وفاة ابن عساكر أربعة دول هي: دولة آل تتش بن ألب أرسلان السلاجقة، ودولة آل طغتكينأتابكة آل تتش، ثم الدولة الزنكية، ثم بدايات الدولة الأيوبية (Ibn al- Athir2012:8/288)، استعادت خلالها دمشق حيويتها العمرانية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية، بحيث استعادت مكانتها كمركز كبير من مراكز الحضارة، ثقافة، وعلماً، واقتصاداً وغيره، بفضل هذه الدول المتعاقبة على حكمها.

وقد اقتصرت الدراسة في مادتها على كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر لأنه يمثل أبرز تاريخ موسوعي لمدينة دمشق عبر العصور، ولم يماثله كتاب في تاريخها حتى الآن، وحاول فيه ابن عساكر التأريخ للمظاهر الثقافية لدمشق، وكانت الفترة التي اعتنت بها الدراسة هي الفترة التي عاصرها ابن عســـاكر أو عاصرها شيوخه، لهذا كانت معلوماته عنها معلومات على مستوى عالٍ من الاستقصاء والدقة، وتمتاز في كثير منها بالتفرد حيث لم يوردها قبل ابن عساكر أي من المصادر السابقة عليه أو المعاصرة له، لـــذا كان اختيار زمن الدراسة منبثقاً من هذا الاعتبار (Mustafa, 1987: 2/240- 243).

ولما كانت الحركة الثقافية والعلمية قائمة على التبادل المعرفي حيث قام العديد من علماء دمشق برحلات علمية إلى أمصار عديدة من العالم طلباً للعلم، ولأسباب أخرى، كذلك زار العديد من العلماء دمشق لغايات وأسباب متنوعة، تحاول هذه الدراسة الوقوف على أسباب تلك الزيارات إلى دمشق، كما تحاول تبيان آثارها على الحركة الثقافية في دمشق.

ولأجل هذه الغاية قامت الدراسة باتباع منهج الاستقراء الكامل لكتاب ابن عساكر لحصر المادة حتى تعطي صورة متكاملة عن زيارات العلماء وأسبابها، ثم قامت بتحليل تلك المادة وتبويبها ضمن العناوين الأساسية لها، واستنباط أسباب تلك الزيارات، واقتصرت الدراسة على الزائرين من خارج بلاد الشام؛ لأنه يصعب حصر الزيارات بين المدن الشامية لكثرتها، فنادراً ما نجد عالماً في مدينة

شامية لم يزر معظم مدن الشام، ولأن بلاد الشام تعد إقليماً جغرافياً واحداً، لذلك تحاول الدراسة رصد الزيارات من الأقاليم المختلفة لدمشق.

ولا بد من الإشارة إلى أن ابن عساكر لا يشير أحياناً لزمن الزيارة، ولا لتاريخ وفاة العالم، مما يجعل تحديد زمنه يحتاج لدراسة متأنية لشيوخ الزائر وتلاميذه لتحديد زمن الزيارة، وكذلك يقوم ابن عساكر أحياناً باختصار تراجم العلماء بحيث يحتاج الباحث إلى إمعان النظر في سبب الزيارة، أو نتائجها لإغفاله ذكر هذه المعلومة في بعض تراجمه.

وتنبع أهمية الدراسة من طبيعة مصدرها، وهو تاريخ دمشق لأنه أبرز مصدر لتاريخ دمشق منذ تأسيسها حتى الآن، امتاز فيه ابن عساكر بقدرة هائلة على التعريف بكل من دخل دمشق من الخلفاء، والصحابة، والملوك، والأمراء، والعلماء على اختلاف علومهم، وزعماء القبائل وغيرهم، لذلك يُعدُّ كتابه معبراً بشكل أصيل عن واقع الثقافة الدمشقية خلال القرون الستة الأولى من الهجرة، خصوصاً وأن ابن عساكر كان عالماً بالفقه والأصول، والقرآن وعلومه، والسنة وعلومها، واللغة، والنحو، والتاريخ، متذوقاً للشعر راوية له، لذلك استطاع أن يجمع في كتابه صورة متكاملة عن الثقافة في دمشق، وكذلك صورة متميزة عن العلماء الذين زاروا دمشق في الفترة مدار البحث.

أولاً: زيارة العلماء لدمشق

تمكنت الدراسة بعد استقراء كتاب تاريخ دمشق كاملاً من رصد زيارة مئة وخمس علماء لدمشق في الفترة من 471–571هـ/ 1078–1175م ممن تمكنت الدراسة من تحديد زيارتهم سواء من خلال تحديد ابن عساكر الصريح لتاريخ الزيارة، أو من تواريخ سماعات العلماء التي أوردها، أو من خلال تقدير أعمار شيوخهم أو تلاميذهم، وسنذكرهم في ثنايا البحث حسب الموضوعات ولعل من الأمثلة على ذلك ما قاله ابن عساكر عن محمد بن حيدر: "قدم دمشق طالب علم".(Ibn'Asākir 1995: 52/375)

وقد تعددت تخصصات أولئك العلماء حيث شملت معظم العلوم الفقهية والأدبية، وبعض العلوم التطبيقية فتوزعوا على القرآن وعلومه، والحديث النبوي، والفقه، وأصول الدين، والعقيدة، والتصوف، وعلوم العربية، والشعر، والتاريخ، والطب.(Ibn'Asākir 1995:5/208)

وكذلك تعددت الأماكن التي قدموا منها حيث وجدت الدراسة حضوراً كبيراً لعلماء الأندلس والمغرب، يتلوهم علماء خراسان، وما وراء النهر، ثم علماء العراق، وفارس، وأذربيجان، وبلاد الروم (الأناضول)، ومصر، مع التأكيد مرة أخرى على أن الدراسة استبعدت علماء المدن الشامية الأخرى الذين زاروا دمشق لأنها تريد التركيز على زيارة علماء الأقاليم الأخرى لدمشق.

ولاحظت الدراسة بعد دراسة العلماء أنهم على نوعين إما شبابٌ قادمون لطلب العلم ثم أصبحوا علماء كباراً بعد ذلك، أو علماء مكتملو العلم والثقافة قدموا للتعليم في دمشق أو لغايات أخرى.

ثانياً: أسباب الزيارات ودوافعها

بعد القراءة المتأنية لسير العلماء الزائرين لدمشق في الفترة مدار البحث، وبعد تحليل لأسباب الزيارة لمن لم يذكر ابن عساكر سبباً لزيارتهم تبين وجود مجموعة من الأسباب دفعت العلماء وطلبة العلم لزيارة دمشق في الفترة مدار البحث، ولعل الأسباب التي رصدتها الدراسة لزيارة العلماء لدمشق ودوافعهم لذلك هي:

1-طلب العلم:

جدول (1) الطلاب الذين زاروا دمشق بقصد طلب العلم

الرقم	اسم الزائر	بلد الزائر	مكان الزيارة	هدف الزيارة	المجالات العلمية التي درسوها	المصدر
1	أحمد بن محمد السلفي	أصبهان	دمشق	التعلم	الحديث	Ibn'Asākir 1995:5/208
2	حبيب بن نصر الطبري	طبرستان	دمشق	التعلم	الحديث	Ibn'Asākir 1995:12/82
3	الحسن بن أحمد بن عبد الله القاضي الأندلسي	ميورقة الأندلس	دمشق	التعلم	الحديث والفقه	Ibn'Asākir 1995:13/17
4	سلمان بن ناصر بن عمران الأنصاري	نيسابور	دمشق	التعلم	علم الأصول والتفسير	Ibn'Asākir 1995:21/476
5	صالح بن إسماعيل الكاثي الخوارزمي	خوارزم	دمشق	التعلم	الحديث والتصوف	Ibn'Asākir 1995:23/300

الرقم	اسم الزائر	بلد الزائر	مكان الزيارة	هدف الزيارة	المجالات العلمية التي درسوها	المصدر
6	عبد الرحمن بن محمد بن أحمد السقطي	المغرب	دمشق	التعلم	الفقه	Ibn'Asākir 1995:35/356
7	عبد الوهاب بن طالب التميمي	بغداد	دمشق	التعلم	الفقه	Ibn'Asākir 1995:37/326
8	عبد الوهاب بن عيسى بن محمد اليشكري	المغرب	دمشق	التعلم	الفقه	Ibn'Asākir 1995:37/342
9	عبدان بن رزين بن محمد	أذربيجان	دمشق	التعلم	القراءات القرآنية	Ibn'Asākir 1995:37/354
10	علي بن عبد الغفار النجار	قابس المغرب	دمشق	التعلم	القراءات القرآنية	Ibn'Asākir 1995:43/73
11	محمد بن أحمد بن الهيثم	بلخ	دمشق	التعلم	القراءات القرآنية	Ibn'Asākir 1995:51/163
12	محمد بن أبي إسحاق البسطامي	بسطام	دمشق	التعلم	حديث وقراءات	Ibn'Asākir 1995:52/41
13	محمد بن حيدر بن طاهر	طبرستان	دمشق	التعلم	حديث	Ibn'Asākir 1995:52/375
14	محمد بن علي بن ياسر	جيان الأندلس	دمشق	التعلم	الفقه	Ibn'Asākir 1995:54/399
15	منصور بن عفيف	الإسكندرية	دمشق	التعلم	الفقه	Ibn'Asākir 1995:60/321

كان طلب العلم دافعاً رئيسياً للكثير من العلماء وطلبة العلم للقيام برحلات متعددة داخل أقاليم العالم الإسلامي للسماع على شيوخ الأمصار العلوم المختلفة، وخصوصاً الحديث، والقرآن الكريم وعلومهما، والفقه وغيرهما من العلوم، إضافة لسماع الكتب المصنفة بطريقة الرواية عن الشيوخ إلى مصنف الكتاب، وقد شكل هذا الدافع والسبب محوراً رئيسياً من أسباب زيارة دمشق، حيث زار دمشق لطلب العلم العالم الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السِّلَفِي (ت 576هـ/ 1180م) الذي نصَّ ابن عساكر على أنه قدم دمشق سنة 509هـ/1115م طالباً للعلم (Ibn 'Asākir 1995: 5/208)،

ورصد قراءته للحديث والفقه على ست من علمائها ذكرهم بالاسم، وقال عن البقية "وغيرهم من طبقتهم" (Ibn'Asākir 1995: 5/208) مما يعني أنه سمع على العديد من علماء دمشق، لكن ابن عساكر ذكر أبرزهم فقط، وبقراءة متأنية لكتاب معجم السفر للسلفي يظهر تأثير رحلته الدمشقية هذه على علومه وثقافته (al- Silafi 1993: 410, 411). ومن القادمين لدمشق طلباً للعلم حبيب ابن نصر الطبري الذي قدمها بعد سنة 500هـ/1106م (Ibn'Asākir 1995: 12/82)، والحسن ابن أحمد الغافقي الأندلسي أحد فقهاء المالكية، قدم دمشق مرتين، الأولى طلب فيها العلم، وسمع بها كبار محدثيها وفقهائها، وقدمها مرة ثانية نقل إلى شيوخه علمه الذي جمعه، وذلك سنة 491هـ/1096م (Ibn'Asākir1995:13/16)، وكذلك صالح بن إسماعيل بن محمد الخوارزمي الصوفي (ت 554هـ/1159م) الذي ذكر ابن عساكر أنه قدم دمشق طالباً للعلم، ودرس بها كتب الحديث، ومات بدمشق (Ibn'Asākir1995: 23/300).

وقد رصدت الدراسة غير هؤلاء الأربعة، أحد عشر عالماً صرح ابن عساكر أنهم زاروا دمشق لطلب العلم بها، وبذلك يكون عدد الداخلين لدمشق بسبب طلب العلم خمسة عشر عالماً، توزعوا على المغرب العربي، حيث تم رصد ثلاثة من طالبي العلم (Ibn'Asākir 1995: 35/356, 37/342, 43/73)، وأندلسيان (Ibn'Asākir 1995: 13/16, 54/399)، ومصري (Ibn'Asākir 1995: 60/321)، وبغدادي (Ibn'Asākir 1995: 37/326)، وثمانية من خراسان وما وراء النهر (Ibn'Asākir 1995:5/208, 12/82, 21/476, 23/300,37 /354, 51/163, 52/41, 375).

وهذا الأمر يدل على أن طلبة العلم من شتى أقطار العالم الإسلامي آنذاك قدموا لدمشق لطلب العلم من شيوخها، وكان معظم أولئك الطلبة من طلبة الحديث، والفقه، وعلوم القرآن، وهذا لا يعني أن طلب العلم بدمشق اقتصر على هؤلاء بل إن الذين طلبوا العلم بدمشق أكثر من ذلك بكثير، لكن هؤلاء الذين نصَّ ابن عساكر أن غايتهم من دمشق كان طلب العلم فيها.

2- نشر العلم بدمشق:

زار دمشق مجموعة من العلماء كانوا مكتملي العلوم، ويؤخذ عنهم العلم، ولم يكن الهدف من زيارتهم سوى نشر العلم عامة، ونشر علمهم خاصة، إضافة إلى اكتساب مجموعة من المعارف الجديدة من خلال مدارسة العلم مع علماء دمشق، وقد تم إحصاء (24) عالماً زاروا دمشق،

وبعضهم استقر بها، وليس لهم غاية أو سبب من الزيارة سوى نشر العلوم التي يملكونها، ونقلها لأهالي دمشق.

جدول (2) العلماء الذين زاروا دمشق بقصد نشر العلم

الرقم	اسم الزائر	بلد الزائر	مكان الزيارة	هدف الزيارة	المجالات العلمية	المصدر
1	أحمد بن محمد بن خلف الشاطبي	شاطبة الأندلس	دمشق	التعليم	القراءات القرآنية	Ibn'Asākir 1995:5/343
2	أحمد بن محمد الموصلي	الموصل– العراق	دمشق	التعليم	الحديث النبوي	Ibn'Asākir 1995:5/438
3	الحسن بن صافي الأرموي	بغداد– العراق	دمشق	التعليم	النحو	Ibn'Asākir 1995:13/71
4	الخضر بن نصر بن عقيل الإربلي	إربل– العراق	دمشق	التعليم	الفقه الشافعي	Ibn'Asākir 1995:16/449
5	روزبه بن الحسن بن علي	بسا– فارس	دمشق	التعليم	الحديث النبوي	Ibn'Asākir 1995:18/254
6	زيد بن علي بن علي	بسا– فارس	دمشق	التعليم	الحديث النبوي	Ibn'Asākir 1995:19/481
7	سعد بن أحمد بن محمد	نسا– ما وراء النهر	دمشق	التعليم	الفقه الشافعي	Ibn'Asākir 1995:20/203
8	صالح بن هبة الله ابن محمد	بغداد– العراق	دمشق	التعليم	الوعظ	Ibn'Asākir 1995:23/403
9	عبدالله بن منصور ابن عمران	واسط– العراق	دمشق	التعليم	القراءات القرآنية	Ibn'Asākir 1995:33/226
10	عبد الواحد بن عبد الماجد القشيري	نيسابور– ما وراء النهر	دمشق	التعليم	التصوّف	Ibn'Asākir 1995:37/256
11	عبد الوارث بن عبد الغني المغربي	تونس– المغرب العربي	دمشق	التعليم	الفقه المالكي	Ibn'Asākir 1995:37/295
12	محمد بن أحمد بن محمد	هراة– ما وراء النهر	دمشق	التعليم	الحديث النبوي	Ibn'Asākir 1995:51/151
13	محمد بن أحمد الأنصاري	الأندلس	دمشق	التعليم	الفقه المالكي	Ibn'Asākir 1995:51/181

الرقم	اسم الزائر	بلد الزائر	مكان الزيارة	هدف الزيارة	المجالات العلمية	المصدر
14	محمد بن أبي إسحاق البسطامي	بسطام– ما وراء النهر	دمشق	التعليم	الحديث النبوي	Ibn'Asākir 1995:52/41
15	محمد بن الحسين بن مهدي	دار أبجرد– فارس	دمشق	التعليم	الحديث النبوي	Ibn'Asākir 1995:52/356
16	محمد بن سعد بن عبدالله الأسدي	بغداد– العراق	دمشق	التعليم	القراءات القرآنية	Ibn'Asākir 1995:53/61
17	محمد بن عبد الرحمن بن يحيى	جنزة– أذربيجان	دمشق	التعليم	الحديث النبوي	Ibn'Asākir 1995:54/106
18	محمد بن عمر بن محمد بن أبي عقيل	الكرج– جورجيا	دمشق	التعليم	الحديث النبوي	Ibn'Asākir 1995:54/431
19	محمد بن عيسى الأنصاري	الأندلس	دمشق	التعليم	القراءات القرآنية	Ibn'Asākir 1995:55/69
20	محمد بن محمد بن محمد بن أحمد	طوس– خراسان	دمشق	التعليم	الفقه الشافعي	Ibn'Asākir 1995:55/204
21	المبارك بن علي بن عبد الباقي	بغداد– العراق	دمشق	التعليم	الحديث النبوي	Ibn'Asākir 1995:57/9
22	نصر الله بن الحسن ابن علوان الربعي	هيت– العراق	دمشق	التعليم	الفقه الشافعي	Ibn'Asākir 1995:62/8
23	يحيى بن سعدون بن تمام الأزدي	قرطبة– الأندلس	دمشق	التعليم	القراءات القرآنية	Ibn'Asākir 1995:64/203
24	أبو بكر السمرقندي	سمرقند –ما وراء النهر	دمشق	التعليم	الحديث النبوي	Ibn'Asākir 1995:66/80

وقد توزع أولئك العلماء جغرافياً على مناطق جغرافية متعددة حيث شكل علماء الشرق الإسلامي (فارس، ما وراء النهر، خراسان) نصف العلماء الذين زاروا دمشق بواقع (12)، وجاء بعدهم علماء العراق الذين زار دمشق منهم لنشر العلم (7) من العلماء، وشكل علماء المغرب والأندلس (5) علماء زاروا دمشق لهذه الغاية.

وتوزعت علوم أولئك العلماء على مجموعة من العلوم أبرزها: الحديث النبوي ، حيث زارها (10) من علماء الحديث (Ibn'Asākir 1995: 5/438, 16/449, 18/254, 19/480, 37/256, 51/151, 52/356, 54/106, 431, 57/9)، وزارها (6) من علماء القراءات القرآنية (3) منهم من الأندلس، و(2) من العراق، و(1) من منطقة ما وراء النهر (Ibn'Asākir 1995: 5/343, 33/226, 52, 41, 53/61, 55/69, 64/203)، وكذلك زارها (6) من علماء الفقه الإسلامي غلب عليهم الفقه الشافعي، حيث كان عددهم (5)، بينما كان هناك فقيه واحد من الأحناف (Ibn'Asākir 1995: 20/203, 37/295, 51/181, 55/205, 62/8, 66/80)، وكان هناك عالم نحوي واحد (Ibn'Asākir 1995: 13/71)، وعالم واحد في الوعظ (Ibn'Asākir 1995: 23/403).

وكان أبرز العلماء الذين زاروا دمشق للاستقرار ونشر العلم ملك النحاة الحسن بن صافي الأرموي البغدادي (ت 568هـ/1172م)، ودرس بها مصنفاته في النحو وعلم القراءات القرآنية (انظر عنه: IbnKhallikān 1977: 2/93,al-Dhahabī 2003: 12/392). وأورد ابن عساكر قائمة مصنفاته التي نشرها في دمشق، وهي: "الحاوي في علم النحو" و"العمدة في علم النحو" و"المقتصد في علم التصريف" و"أسلوب الحق في تعليل القراءات العشر" وهو في قراءات القرآن الكريم، وكتب أخرى مما يدل على عظم أثره في دمشق في علمي النحو وقراءات القرآن (Ibn'Asākir 1995: 13/71- 72). وكذلك زارها العالم في علم القراءات أحمد بن محمد بن خلف الشاطبي (ت بعد 550هـ/1154م) الذي أقرأ القرآن بدمشق بعدة روايات، وصنف مجموعة من الكتب قرأها على الدماشقة منها: كتاب "المقنع في القراءات السبع" و"قراءة أبي عمرو بن العلاء"، وقد أجاز رواية تلك الكتب لأهل دمشق، ومنهم ابن عساكر (Ibn'Asākir 1995: 5/343).

3- الزيارة طلباً للوظائف

كان استرداد دمشق من الخلافة الفاطمية الشيعية لصالح الخلافة العباسية السنية عن طريق السلاجقة، ومن جاء بعدهم، يعني ضرورة استبدال كل المناصب الدينية والقضائية في دمشق لصالح فقهاء السنة، وكذلك بدأت عملية إنشاء المدارس في دمشق لتأكيد سلطة المذهب السني، لذلك كثر في هذه الفترة العلماء الوافدين لدمشق لتولي المناصب الدينية والقضائية، وتولي التدريس بمدارس دمشق المؤسسة حديثاً (Okleh 2012: 36- 37).

جدول (3) العلماء الذين زاروا دمشق طلبا للوظائف

الرقم	اسم الزائر	بلد الزائر	هدف الزيارة	المجالات العلمية	الوظائف التي تسلمها	المصدر
1	أحمد بن علي بن سعيد الأموي	مرو الروذ خراسان	الوظيفة	الفقه الشافعي	القضاء	Ibn'Asākir 1995:5/55
2	إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم	الموصل– العراق	الوظيفة	الفقه الحنفي	القضاء	Ibn'Asākir 1995:6/258
3	إبراهيم بن سعيد	الإسكندرية مصر	الوظيفة	الأدب	التأديب	Ibn'Asākir 1995:6/413
4	الحسن بن سعيد الشاتاني	ديار بكر العراق	الوظيفة	الأدب واللغة والشعر	دواوين الدولة الزنكية	Ibn'Asākir 1995:13/96
5	الخضر بن نصر بن عقيل	إربل– العراق	الوظيفة	الفقه الشافعي	التدريس	Ibn'Asākir 1995:16/449
6	دارا بن منصور الفارسي	فارس	الوظيفة	أديب	دواوين الدولة الزنكية	Ibn'Asākir 1995:17/78
7	عبد القادر بن علي ابن محمد	واسط– العراق	الوظيفة	أديب وشاعر	التأديب	Ibn'Asākir 1995:36/406
8	علي بن الحسن البلخي	بلخ– ما وراء النهر	الوظيفة	الفقه الحنفي	التدريس	Ibn'Asākir 1995:41/339
9	علي بن سليمان بن أحمد	الأندلس	الوظيفة	الفقه الشافعي	التدريس	Ibn'Asākir 1995:41/515
10	علي بن مكي الكاساني	ما وراء النهر	الوظيفة	الفقه الحنفي	الإفتاء	Ibn'Asākir 1995:43/252
11	علي بن هبة الله بن محمد	بغداد– العراق	الوظيفة	الفقه الشافعي	القضاء	Ibn'Asākir 1995:43/265
12	محمد بن أسعد بن محمد	بغداد– العراق	الوظيفة	الفقه الحنفي	التدريس	Ibn'Asākir 1995:52/45
13	محمد بن محمد الشهرزوري	الموصل– العراق	الوظيفة	الفقه الشافعي	القضاء	Ibn'Asākir 1995:55/185
14	مسعود بن محمد بن مسعود	نيسابور– ما وراء النهر	الوظيفة	الفقه الشافعي	التدريس	Ibn'Asākir 1995:58/13

وقد تم رصد (14) عالماً زاروا دمشق بهدف العمل في مؤسسات الدولة بها الدينية أو القضائية أو التعليمية، وغلب على أولئك العلماء جغرافياً مناطق العراق والشرق الإسلامي، ولم يخرج عن هذا الأمر سوى أديب مصري واحد وأندلسي واحد.

وغلب بشكل أساسي على هؤلاء العلماء الفقه، وهو أمر طبيعي، لأن معظمهم قدموا للعمل في مدارس دمشق، أو مناصبها الدينية والقضائية، تلاه العلماء المختصون بالأدب الذين قدموا لتأديب أولاد الملوك.

شغل العلماء الذين قدموا لشغل وظيفة التدريس في مدارس دمشق عدداً جيداً من العلماء الذين قدموا دمشق طلباً للوظائف، حيث كان عددهم (5) من العلماء (Ibn'Asākir 1995: 41/339, 43/252, 265, 52/45, 58/13)، ولعل من أبرزهم: علي بن الحسن البلخي الفقيه الحنفي (ت 548هـ/1153م)، وكان من كبار علماء الأحناف (al-Dhahabī 1996: 20/276) قدم دمشق سنة 519هـ/1122م، ونزل بالمدرسة الصادرية أول المدارس تأسيساً في دمشق، حيث أسست سنة 491هـ/1096م (al-Naimi 1990: 1/413)، ثم جعل له أمراء دمشق مدرسة خاصة له سنة 525هـ/1128م سميت نسبة لبلده البلخية (al-Naimi 1990: 1/368) ثم درس في المدرسة الخاتونية البرانية التي أسستها زوجة حاكم دمشق سنة 526هـ/1129م (al-Naimi 1990: 1/384)، ويبدو أنه نجح في تدريسه نجاحاً كبيراً، لذلك تبارى الملوك والأمراء بوقف الأوقاف على مدارسه، وبمنحه العطايا الكثيرة حتى وفاته (Ibn'Asākir 1995: 41/339- 341).

ومن العلماء أيضاً الذين قدموا لغاية التدريس الفقيه الشافعي مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري (ت 578هـ/1181م)، وهو من علماء الشافعية الكبار (IbnKhallikān 1977: 5/197,Ibnal-'Imād 1991: 4/263)، قدم دمشق سنة 540هـ؟1145م، وتولى التدريس بالمدرسة المجاهدية، وهو أول من درس بها (al-Naimi 1990: 1/13)، ودرس بالمدرسة الغزالية المشهورة بالزاوية الغربية (al-Naimi 1990: 1/313)، ودرس على يديه العديد من علماء دمشق (Ibn'Asākir 1995: 58/13).

أما الوظائف الدينية والقضائية والإدارية فكانوا (7) من العلماء، لعل من أشهرهم القاضي محمد بن محمد الشهرزوري الموصلي (ت 584هـ/1188م) قاضي دولة آل زنكي

(IbnKhallikān 1977: 4/246,al-Ṣafadī 1974: 1/210) الذي تولى القضاء في دمشق (Ibn'Asākir 1995: 55/185).

وكذلك كان هناك أديبان عملا في تأديب أبناء حكام دمشق، هما عبد القادر بن علي الواسطي (ت 548هـ/1153م)، وكان أديباً شاعراً، قدم للعمل مؤدباً لأولاد حكام دمشق (Ibn'Asākir 1995: 36/406)، وإبراهيم بن سعيد الإسكندراني الأديب الذي انفرد ابن عساكر بذكره (Ibn'Asākir 1995: 6/413).

4- المرور عبر دمشق لزيارة العراق أو مصر والمغرب الإسلامي

شكلت دمشق عقدة مواصلات مهمة بين الشرق الإسلامي والغرب الإسلامي، فمعظم من أراد من الغرب الإسلامي زيارة الشرق لا بد له من المرور بدمشق، والعكس صحيح، لذلك زار العديد من العلماء دمشق على اعتبار أنها محطة عبور للشرق أو العكس، وقد تم رصد (11) عالماً زاروا دمشق لغاية المرور بها إما للعراق أو لمصر والمغرب الإسلامي. وكان الأغلب علماء المغرب والأندلس الذين قدموا دمشق زيارة للعراق حيث بلغوا (8) من العلماء. وبلغ الذين قصدوا مصر مروراً بدمشق (3) من العلماء والأدباء غلب عليهم أنهم شعراء قصدوا مصر لمدح وزراء الفاطميين (Ibn'Asākir 1995: 41/191, 51/42, 54/68).

جدول (4) العلماء الذين زاروا دمشق تمهيدا لزيارة العراق والمغرب والاندلس

الرقم	اسم الزائر	بلد الزائر	أعمالهم فترة إقامتهم في دمشق	هدف الزيارة	المجالات العلمية	المصدر
1	علي بن جعفر بن الحسن	المعرة	إنشاد الشعر	المرور إلى مصر	الشعر	Ibn'Asākir 1995:41/291
2	علي بن القاسم بن محمد التميمي	قسنطينة- المغرب	سجل الحديث، وقرأ بعض كتب الفقه	المرور إلى العراق	فقيه شافعي أشعري	Ibn'Asākir 1995:43/135
3	عيسى بن إبراهيم القيسي	إشبيلية- الأندلس	حدّث بكتاب الموطأ	المرور إلى الأندلس عائداً من العراق	محدث	Ibn'Asākir 1995:47/289
4	محمد بن أحمد بن سعيد	بغداد- العراق	حدث بعلومه الأدبية	المرور إلى مصر	أديب وشاعر	Ibn'Asākir 1995:51/42

الرقم	اسم الزائر	بلد الزائر	أعمالهم فترة إقامتهم في دمشق	هدف الزيارة	المجالات العلمية	المصدر
5	محمد بن سعدون العبدري	ميورقة– الأندلس	حدث طلبة العلم بها الحديث وفقه الظاهرية	المرور إلى بغداد	محدث وفقيه ظاهري	Ibn'Asākir 1995:53/59
6	محمد بن عبد الباقي الأنصاري	بغداد– العراق	حدث بعلومه	المرور إلى مصر	محدث وفقيه حنبلي	Ibn'Asākir 1995:54/68
7	محمد بن عبد الرحيم القيسي	غرناطة– الأندلس	حدث بعلومه	المرور إلى العراق	محدث ورحالة	Ibn'Asākir 1995:54/113
8	محمد بن عبد الواحد الاموي	الأندلس	معالجة المرضى	المرور إلى الحج	طبيب	Ibn'Asākir 1995:54/151
9	محمد بن عتيق التميمي	القيروان– المغرب	قرأ علومه على طلاب العلم	المرور إلى العراق	عالم بالأصول	Ibn'Asākir 1995:54/188
10	محمد بن علي بن ياسر	جيان– الأندلس	تعليم الصبيان، والدراسة على شيوخ دمشق	المرور إلى العراق	محدث وفقيه	Ibn'Asākir 1995:54/389
11	محمد بن فتوح الحميدي	الأندلس	سماع الحديث، وقراءة ما لديه من حديث على طلبة العلم	المرور إلى العراق	محدث ومؤرخ	Ibn'Asākir 1995:55/77

وكان معظم الزائرين لبغداد مروراً بدمشق فقهاء ومتكلمين حيث توزعوا بين الفقه الظاهري، والشافعي الأشعري، والحديث، ولعل أبرزهـــم المؤرخ والحافظ محمد بن فتوح الحميدي الأندلســـي (ت 488هـ/1095م) صاحب كتاب جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس (انظر عنه: Yāqūt 1993: 6/2598, al-Dhahabī 1996: 19/120, al-Ṣafadī 1973: 4/314)، وقد سمع منه علوم الحديث والفقه والتاريخ مجموعة كبيرة من علماء دمشق، ويبدو أنه قرأ كتبه التي صنفها في الحديث والتاريخ أثناء إقامته فيها (Ibn'Asākir 1995: 55/77- 81).

ومنهم أيضاً علي بن القاسم بن محمد التميمي المغربي المتكلم الأشعري (ت 519هـ/ 1125م) الذي زار دمشق في طريقه للعراق، ثم عاد لها مرة أخرى قاصداً العودة للمغرب لكنه توفي فيها، وقد سمع بدمشق صحيح البخاري (Ibn'Asākir 1885: 43/135)، وكذلك الطبيب الأندلسي محمد ابن عبد الواحد الأموي، وقام أثناء إقامته بدمشق بعلاج بعض المرضى بها، ويبدو أنه علم بعض

الناس فيها علومه الطبية (Ibn'Asākir 1995: 54/151)، وقدمها أيضاً زائراً بهدف المرور للعراق محمد بن عتيق التميمي القيرواني المتكلم الأشعري (ت 512هـ/1118م) (انظر عنه: al-Dhahabī 1988: 1/467, al-Ṣafadī 1973: 4/9)، وكانت زيارته لها في حدود سنة 480هـ/1087م، وقد قرأ عليه فقهاء دمشق وطلبة العلم بها أصول العقيدة الأشعرية، والفقه الشافعي (Ibn'Asākir 1995: 54/188)، وزارها أيضاً عابراً للعراق عيسى بن إبراهيم الأندلسي المحدث الذي زار دمشق سنة 505هـ/1111م راجعاً من العراق، وحَدَّث بدمشق بكتاب الموطأ للإمام مالك، وسمعه منه العديد من طلبة العلم في دمشق، كان منهم ابن عساكر(Ibn'Asākir 1995: 47/289) هذا إضافة إلى مجموعة أخرى من العلماء (Ibn'Asākir 1995: 51/42, 54/131, 339).

5- زيارة القدس

شكلت القدس ومسجدها مكانة محورية في الإسلام، لذلك كانت زيارتها أساسية عند العلماء المسلمين، وخصوصاً بعد انتهاء وسيطرة الدولة الفاطمية الشيعية عليها، وانتقال حكمها إلى الخلافة العباسية السنية، لكن سرعان ما انتهت تلك السيطرة العباسية بسقوطها بيد الصليبيين، لذلك كانت زيارتها قبل احتلالها وبعده أمنية لدى معظم العلماء، ولهذا السبب ورد الكثير من العلماء من المشرق الإسلامي ومغربه لزيارة المدينة، لذلك كان المرور بدمشق أساسياً للوصول للقدس (Okleh 2017: 1-5).

جدول (5) العلماء الذين زاروا دمشق بهدف زيارة القدس

الرقم	اسم الزائر	بلد الزائر	أعمالهم فترة إقامتهم في دمشق	أعمالهم في فترة إقامتهم في القدس	هدف الزيارة	المجالات العلمية	المصدر
1	أحمد بن محمد بن علي الهروي	هراة- خراسان	سماع العلم، قراءة علومه على طلبة العلم	المجاولة بالقدس، والتدريس بها	زيارة القدس	القراءات القرآنية	Ibn'Asākir 1995:5/417
2	إبراهيم بن المطهر السباك	جرجان	متابعة علومه	متابعة علومه على أبي حامد الغزالي	زيارة القدس	الفقه الشافعي	Ibn'Asākir 1995:7/225
3	إسماعيل بن أحمد الصوفي	نيسابور	تدريس علومه بالتصوّف	لم يزرها لمنع الفرنجة	زيارة القدس	التصوّف	Ibn'Asākir 1995:8/361
4	إسماعيل بن علي بنالحسين	استراباذ	تدريس علومه	المجاورة، وتدريس علومه	زيارة القدس	الحديث	Ibn'Asākir 1995:9/18

الرقم	اسم الزائر	بلد الزائر	أعمالهم فترة إقامتهم في دمشق	أعمالهم في فترة إقامتهم في القدس	هدف الزيارة	المجالات العلمية	المصدر
5	حامد بن يوسف التغلبي	العراق	تدريس علومه	المجاورة وتلقي العلم	زيارة القدس	الحديث	Ibn'Asākir 1995:12/12
6	عبد القاهر بن عبدالله القرشي	سهرورد	تدريس علومه	لم يزرها لمنع الفرنجة	زيارة القدس	التصوّف	Ibn'Asākir 1995:36/412
7	محمد بن أحمد الطوسي	طوس	تدريس علومه	التعلم والعمل إماماً لصخرة بيت المقدس	زيارة القدس	التصوّف	Ibn'Asākir 1995:51/89
8	محمد بن عبدالله أبو بكر العربي	إشبيلية	التعلم	التعلم	زيارة القدس	الفقه المالكي	Ibn'Asākir 1995:54/24
9	محمد بن عبد الكريم الصوفي	كازرون	التدريس	لم يدخلها لمنع الفرنجة	زيارة القدس	التصوّف	Ibn'Asākir 1995:54/128
10	أبو حامد محمد بن محمد الغزالي	طوس	التدريس والتأليف	التدريس والتأليف	زيارة القدس	الفقه الشافعي	Ibn'Asākir 1995:55/200
11	نصر بن محمد بن إبراهيم	أذربيجان	تدريس التصوّف	تدريس التصوّف	زيارة القدس	التصوّف	Ibn'Asākir 1995:62/46
12	أبو بكر الواسطي	واسط	تدريس التصوّف	تدريس التصوّف	زيارة القدس	التصوّف	Ibn'Asākir 1995:66/80

وقد رصدت الدراسة من خـــلال كتاب تاريخ دمشق قيام (12) عالماً بزيارة دمشق بهدف المرور إلى القدس، جميعهم كانوا من المشـــرق الإســـلامي باستثناء واحد من المغرب الإســـلامي، وكان جميعهم من الفقهاء أو الصوفية، ولعل أبرزهم هو العالم الكبير أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الشافعي (ت 505هـ/1111م) أحـد كبار أئمة الشافعية، وكبار فقهاء المـسلمين (انظر عنه: Ibn Al-Athīr 2012: 8/591, Sibtibn al-Jawzī 2013: 20/50) قدم دمشق سنة 489هـ/1096م في طريقه إلى زيارة القدس، وأقام بدمشق مدة ثم عاد بعد زيارته للقدس إلى العراق، وقد صنف في زيارته لدمشق مجموعة من مصنفاته، وقرأ عليه علماء دمشق (Ibn'Asākir 1995: 55/200)، وقد رافق أبا حامد في زيارته هذه مجموعة من تلاميذه، فزاروا دمشق في طريق زيارتهم للقدس (Ibn'Asākir 1885: 7/225, 8/18).

وزارها أيضاً الفقيه المالكي الكبير أبو بكر محمد بن عبدالله بن العربي الأندلسي (ت 543هـ/1148م)، وهو أحد أكبر المصنفين في الحديث وشرحه، وفي الفقه (انظر عنه: IbnKhallikān 1977: 4/286, al-Dhahabī 1986: 20/197, al-Ṣafadī 1973: 3/330)، وغادر دمشق سنة 491هـ/1098م، وقد حدث بدمشق بعلومه وكتبه، ورواها عنه الدمشقيون، مما جعلهم يطلعون على مصنفات الفقه المالكي (Ibn'Asākir 1995: 54/24)، وكذلك زارها بغاية زيارة القدس أحمد بن محمد بن علي الهروي (ت 492هـ/1099م)، وكان عالمـــاً بالقراءات حيث صـــنف كتاباً فيها اســـمه "التذكرة في القراءات الثمانية"، وقد سمعه منه الدمشـــقيون (Ibn'Asākir 1995: 5/417)، وزارها لهذه الغاية أيضاً علماء آخرون ذكرهم ابن عساكر، وحدد هدفهم من زيارة دمشق وهو دخول القدس (Ibn'Asākir 1995: 8/361, 12/12, 16/412, 51/89).

6- التجارة

زار دمشق العديد من العلماء بهدف التجارة، وقد أورد ابن عساكر في فتره الدراسة 11 عالماً زاروا دمشق، وكان جميعهم من العراق والمشرق الإسلامي، وهذا طبيعي لأن مصر كانت تحت ظل الفاطميين، فكان صعباً زيارة العلماء لها للتجارة.

جدول (6) العلماء الذين زاروا دمشق بهدف التجارة

الرقم	اسم الزائر	بلد الزائر	مكان الزيارة	هدف الزيارة	المجالات العلمية	عدد مرات الزيارة	المصدر
1	أحمد بن عمر بن الأشعث	سمرقند	دمشق	التجارة	الحديث	(1)	Ibn'Asākir 1995:5/91
2	الحسن بن المظفر البغدادي	بغداد	دمشق	التجارة	الحديث	(1)	Ibn'Asākir 1995:13/394
3	عبد الباقي بن أحمد الأزجي	بغداد	دمشق	التجارة	الحديث والفقه	(1)	Ibn'Asākir 1995:34/3
4	عبد الكريم بن الحسن بن طاهر	العراق	دمشق	التجارة	الحديث	(1)	Ibn'Asākir 1995:36/434
5	عبد المغيث بن زهير الحربي	بغداد	دمشق	التجارة	الحديث	(1)	Ibn'Asākir 1995:37/34
6	محمد بن أحمد بن تغلب	بغداد	دمشق	التجارة	الحديث	(1)	Ibn'Asākir 1995:51/21

الرقم	اسم الزائر	بلد الزائر	مكان الزيارة	هدف الزيارة	المجالات العلمية	عدد مرات الزيارة	المصدر
7	محمد بن عبد الكريم ابن المفضل	الموصل	دمشق	التجارة	الحديث	(1)	Ibn'Asākir 1995:54/130
8	محمد بن علي المكبر	بغداد	دمشق	التجارة	الحديث	(1)	Ibn'Asākir 1995:54/405
9	المبارك بن علي الصيرفي	بغداد	دمشق	التجارة	الحديث	(1)	Ibn'Asākir 1995:57/10
10	مجلي بن الفضل الجهني	الموصل	دمشق	التجارة	الحديث والشعر	(1)	Ibn'Asākir 1995:57/49
11	ياقوت بن عبدالله أبو الدر	بغداد	دمشق	التجارة	الحديث	أكثر من مرتين	Ibn'Asākir 1995:64/38

ومن أبرز العلماء الذين زاروا دمشق لغاية التجارة الحسن بن المظفر بن الحسن المعروف بابن السبط البغدادي (ت 523هـ/1128م)، ونصّ ابن عساكر أنه قدم دمشق للتجارة، وسمع عليه الحديث مجموعة من طلبة العلم منهم ابن عساكر (Ibn'Asākir 1995: 13/394- 395)، وكذلك زارها للتجارة العالم البغدادي أبو الدر ياقوت بن عبدالله الرومي (ت 543هـ/1148م)، وكان عالماً في الحديث وغيره من العلوم (انظر عنه: Al-Sam'ānī 1988: 3/105, Al-Dhahabī 1996: 20/179)، وذكر ابن عساكر أنه قدم دمشق عدة مرات بهدف التجارة، وسمع عليه خلالها علماء دمشق مجموعة من الكتب التي كان يرويها، ومنها "جزء المزاح والفكاهة للزبير بن بكار" (Ibn'Asākir 1995: 64/38)، وكذلك زارها للتجارة مرتين المحدث الشافعي عبد الباقي بن أحمد البغدادي، وسمع منه الحديث فيها علماء دمشق (Ibn'Asākir 1995: 34/3)، و المحدث الحنبلي عبد المغيث بن زهير البغدادي، وقد قدم دمشق تاجراً، وحدث بها (Ibn'Asākir 1995: 37/34)، والأديب والمحدث محمد بن أحمد البغدادي حيث درس بها الأدب والحديث (Ibn'Asākir 1995: 51/21- 22).

وقد ورد في تاريخ دمشق (6) من العلماء التجار الذين زاروا دمشق لهذا السبب، جميعهم نقلوا ما تعلموه من علوم لعلماء دمشق، وقاموا بإثراء المعارف الدمشقية من خلال الكتب التي حملوها معهم، وكذلك من خلال الدروس العلمية التي قدموها (Ibn'Asākir 1995: 33/226, 36/434, 54/130, 405, 57/49, 100).

7- السفارة

شكلت السفارة سبباً مهماً من أسباب زيارة دمشق للعلماء حيث إن الخلفاء والسلاطين السلاجقة كانوا يرسلون سفراء لهم إلى دمشق من فئة العلماء، لذلك زار دمشق بهذه الصفة مجموعة من العلماء نقلوا بها رسائل من مرسليهم إلى حكام دمشق، وكانت هذه مناسبة لطلبة العلم الدماشقة ليسمعوا على هؤلاء العلماء جزءاً من علومهم.

جدول (7) السفراء الذين زاروا دمشق من فئة العلماء

الرقم	اسم السفير	بلد السفير	أعمالهم خلال إقامتهم في دمشق	مهمة السفير	هدف الزيارة	المجالات العلمية	المصدر
1	محمد بن القاسم الشهرزوري	الموصل	الوعظ	رسالة من الخليفة المسترشد	السفارة	الفقه	Ibn'Asākir 1995:55/102
2	عبد الرحمن بن محمد التغلبي	بغداد	الحديث وقراءته على طلبة العلم	رسالة من السلطان مسعود لحكام دمشق	السفارة	الحديث	Ibn'Asākir 1995:35/368
3	عبد المجيد بن إسماعيل الهروي	هراة	تدريس الفقه	رسالة من سلطان سلاجقة الروم	السفارة	الفقه	Ibn'Asākir 1995:36/472
4	عبد الواحد بن رزق الله التميمي	بغداد	تدريس الحديث النبوي	رسالة من الخليفة المستظهر	السفارة	الحديث	Ibn'Asākir 1995:37/215
5	لشكر فيروز بن خورشيد	أصفهان	دراسة الفقه	رسالة من الوزير نظام الملك الطوسي	السفارة	الفقه	Ibn'Asākir 1995:50/287
6	محمد بن عبدالله الشهرزوري	الموصل	تدريس الفقه	رسالة من عماد الدين زنكي	السفارة	الفقه	Ibn'Asākir 1995:21/371

وقد رصدت الدراسة من خلال تاريخ دمشق قيام (6) من العلماء بزيارة دمشق لهذا السبب كان جميعهم قادمون من قبل الخلافة العباسية، أو السلاجقة، وكانوا جميعاً من الفقهاء والأدباء، وكان من أبرزهم محمد بن القاسم بن المظفر الشهرزوري القاضي (ت 538هـ/1143م) أحد كبار فقهاء الشافعية في الموصل (انظر عنه: al-Sam'ānī 1988: 3/473, IbnKhallikān 1977: 4/73) وأرسل إلى دمشق من قبل الخليفة العباسي المسترشد بالله (513-529هـ/1119-1135م)

لأخذ البيعة له في سنة 513هـ/1119م على حكام دمشق، وقد استغل الشهرزوري زيارته هذه ليحدث أهل دمشق بعلومه، وكان ابن عساكر ممن سمع منه الحديث (Ibn'Asākir 1995: 102 -55/101) كما استغل هذه المناسبة ليسمع العلم ومجالس الوعظ على علماء دمشق (Ibn'Asākir1995: 21/371).

وقدم أيضاً لدمشق العالم الحنبلي البغدادي عبد الواحد بن رزق الله التميمي (ت 493هـ/ 1099م)، وهو من علماء الحنابلة الكبار في عصره، قدم لدمشق رسولاً من الخليفة المستظهر العباسي (487–513هـ/1093–1119م)، وكانت سفارته في سنة 490هـ/1096م، وقد سمع عليه في قدومه هذا مجموعة من طلبة العلم، وأجاز لهم مروياته (Ibn'Asākir1995: 37/215)، وكذلك زارها موفداً من قبل السلاجقة لشكر فيروز بن خورشيد (ت 515هـ/1121م) حاجب الوزير السلجوقي نظام الملك الطوسي (ت 486هـ/1092م) موفداً من قبل السلاجقة، وقد حدث بها محفوظه من الحديث النبوي، وسمع على كبار مشايخها علومهم (Ibn'Asākir 1995: 50/297).

وزارها غيرهم مجموعة من العلماء موفدين من السلاجقة والخلافة العباسية قاموا خلال سفاراتهم بنقل العلوم التي يتقنونها لأهل دمشق، وأخذوا بعض العلوم من مشايخ أهل دمشق، ونشروها في الأمصار التي قدموا منها (Ibn'Asākir1995: 21/371, 35/368, 36/472).

8- الهرب من مناطقهم

رصدت الدراسة حالتين لعالمين هرباً من مناطقهما خوفاً على حياتهما في بلديهما، وهما ممن شغلوا مناصب إدارية في دولهم، ثم حدث تبدل سياسي، نتج عنه تعرض حياتهما بعد عزلهما من مناصبهما للخطر، مما دفعهما للهرب إلى دمشق للاستقرار بها، وكانت الحالة الأولى لسعيد بن سهل النيسابوري الفلكي (ت 560هـ/1164م)، وهو محدث وأديب وصوفي، عمل وزيراً لحاكم خوارزم، ثم خاف منه لسبب لم تذكره المصادر، فاضطر لمغادرة خوارزم بحجة إدائه لفريضة الحج، حاملاً معه كتبه وثروته، ثم بعد انقضاء الحج توجه إلى دمشق سنة 553هـ/1157م، واستقر بها حتى وفاته (انظر عنه: al-Dhahabī 1996: 20/304, al-Ṣafadī 1973: 15/224) وقام أثناء إقامته في دمشق بالإنفاق على المدارس، وعلى مؤسسات الصوفية، كما قام بعقد دروس نقل بها لطلبة العلم بدمشق ما حصله من علوم، وأبرزها الحديث (Ibn'Asākir1995: 21/101- 102).

وزار دمشق لمثل هذا الأمر المحدث والأديب عبدالله بن محمد بن عبدالله المغربي المعروف بابن الأشيري (ت 561هـ/1165م)، وكان أديباً شاعراً إماماً في الحديث واللغة

(انظر عنه: Al-Dhahabī 1996: 20/466, al-Dhahabī 2003: 12/250) وكان قدومه لدمشق ناتجاً عن خوفه من حاكم المغرب الجديد لأنه كان كاتباً للحاكم السابق، فلما تولى الجديد خشي على حياته، فهرب إلى دمشق بأهله وماله وكتبه، وحَدّث بدمشق بروايته لكتاب موطأ الإمام مالك وغيرها من الكتب، وروى عنه ابن عساكر الموطأ، وأخبار علماء المغرب والأندلس، ويبدو أن العلاقة العلمية توثقت بينه وبين ابن عساكر لدرجة قام ابن عساكر بتصنيف كتاب "بعض ما انتهى إلينا من الأخبار في ذكر من وافقت كنيته كنية زوجته من الصحابة الأخيار" بناء على طلب الأشيري منه (Ibn'Asākir 1995: 32/334).

9-مدح الملوك وأسباب أخرى

وفد إلى دمشق مجموعة من الأدباء والشعراء لغاية مدح حكامها، وكبار رجال الدولة فيها، وقد استطعنا رصدت الدراسة ست حالات زارت دمشق لهذه الغاية، وقد أقاموا في دمشق لفترة من الزمن مكنت علماء دمشق من الاطلاع على أدبهم، ورواية شعرهم، فاستطاعوا بهذه الطريقة من إثراء الأدب الدمشقي بمعارفهم، وكانوا جميعاً من أهل العراق، واقتصر تأثيرهم على نقل معارفهم الأدبية، وأشعارهم لأهل دمشق (Ibn'Asākir 1995: 27/82, 14/11, 16/449, 18/298, 43/207, 52/330).

جدول (8) العلماء الذين زاروا دمشق بهدف المدح وأسباب أخرى

الرقم	اسم الزائر	بلد الزائر	أعمالهم العلمية في دمشق	هدف الزيارة	المجالات العلمية	المصدر
1	الحسن بن يعيش	الموصل	مدح أمراء دمشق	مدح أمراء دمشق	الشعر	Ibn'Asākir 1995:14/11
2	الخضر بن هبة الله الطائي	بغداد	رواية شعره على طلبة العلم	مدح آبق بن محمد حاكم دمشق	الشعر	Ibn'Asākir 1995:16/449
3	زائدة بن نعمة القشيري	العراق	رواية شعره على طلبة العلم	مدح طغتكين حاكم دمشق	الشعر	Ibn'Asākir 1995:18/298
4	عبدالله بن أسعد بن الدهان	الموصل	رواية شعره على طلبة العلم	مدح نور الدين محمود	الشعر	Ibn'Asākir 1995:27/82
5	علي بن محمد العامري	بغداد	رواية شعره على طلبة العلم	مدح كبراء دمشق	الشعر	Ibn'Asākir 1995:43/207

الرقم	اسم الزائر	بلد الزائر	أعمالهم العلمية في دمشق	هدف الزيارة	المجالات العلمية	المصدر
6	محمد بن الحسن	الموصل	رواية شعره على طلبة العلم	مدح أمراء الجند في دمشق	الشعر	Ibn'Asākir 1995:52/330
7	أحمد بن علي الأرموي	الكوفة	تدريس الحديث	غير محدد	الحديث	Ibn'Asākir 1995:5/55
8	عبد الرزاق بن عمر	الشاش	تدريس الحديث	غير محدد	فقه وحديث	Ibn'Asākir 1995:36/148
9	محمد بن سعد الأسدي	بغداد	تدريس القراءات	غير محدد	القراءات، اللغة	Ibn'Asākir 1995:53/61
10	هادي بن مهدي العلوي	بغداد	تدريس الفقه	غير محدد	الفقه	Ibn'Asākir 1995:64/10

وقد ذكر ابن عساكر أيضاً زيارة أربعة علماء لدمشق علماء في الفقه والحديث والقراءات دون تحديد سبب لزيارتهم، وقمنا بتفحص ما ذكره عنهم، فلم نجد سبباً واضحاً لتلك الزيارات، ورغم ذلك، فقد قاموا بنقل معارفهم لأهل دمشق (Ibn'Asākir 1995: 5/55, 36/148, 52/47, 53/619).

هذه هي الأسباب التي رصدتها الدراسة في كتاب ابن عساكر خلال فترة الدراسة كدافع لزيارة دمشق من قبل هذا الكم الكبير من العلماء الذين قدموا لدمشق من شرق العالم الإسلامي وغربه، مما جعل دمشق في فترة الدراسة تعج بالحركة العلمية والثقافية بعد فترة من التراجع بسبب السيطرة الفاطمية عليها، ولعل استقرار دمشق السياسي، وازدهارها الاقتصادي كانا من العوامل الأساسية المساعدة لازدهار ثقافتها، ولرغبة العلماء بزيارتها.

ثالثاً: آثار زيارة العلماء لدمشق

الواضح – مما ذكرنا سابقاً – أن زيارة هذا الكم من طلبة العلم والعلماء لدمشق أدى إلى ازدهار الحركة العلمية والثقافية في مدينة دمشق، ونتج عنه توسع السلطة السياسية في دمشق سواء في الدولة البورية والزنكية في إنشاء المؤسسات العلمية لاستيعاب هذا الكم من العلماء، وكان وجود بعضهم دافعاً للسلطة لإنشاء مدارس لهم، كما ساهم وجودهم في تثبيت المذهب السني في دمشق وبلاد الشام، وخصوصاً المذهب الشافعي الذي انتشر كثيراً بسبب تبني الدولة له، وكثرة العلماء القادمين لدمشق من المنتمين له مما أثر كثيراً على طلبة العلم في دمشق الذين التحقوا بالمذهب الشافعي تأثراً بانحياز الدولة له، ولكثرة العلماء فيه ولعل الدليل الأقوى في هذا الموضـــوع قيام

أمراء دمشق بتأسيس المدرسة البلخية لتدريس المذهب الشافعي للفقيه علي بن الحسن (Ibn'Asākir 1995:41/440)

وأدت زيارة العلماء لدمشق إلى تبادل كبير للعلوم والمعارف بحيث أصبحت دمشق صورة مصغرة عن بغداد آنذاك يلتقي بها كل علماء الأمصار الإسلامية، فيتبادلون المعارف والعلوم، ويتناظرون كل مدافع عن حجته، مما نشط الحياة الثقافية في دمشق وجعلها تعج بالمعارف، والتبادل المعرفي.(Ibn'Asākir 1995:54/24)

كذلك أدى هذا الكم من الزيارات إلى نقل معارف وكتب الأمصار الإسلامية إلى دمشق مما أثرى الحياة الثقافية العلمية الدمشقية، وجعلها متنوعة تنوعاً كبيراً في هذه الفترة، كما أدى إلى توسع مدارك علماء دمشق باطلاعهم على علوم الأمصار الإسلامية، وطرائق علماء تلك الأمصار في التدريس والمناظرة، والجدل، ونظرياتهم الكلامية ولعل أوضح مثال على ذلك تعلمهم مناهج وطرائق أشاعرة الشافعية من خلال تعلمهم على الإمام أبي حامد الغزالي (Ibn'Asākir 1995:55/200)

كما ساهم وصول هذا الكم من العلماء إلى دمشق إلى قيامهم بنقل المعارف والعلوم الدمشقية إلى أمصارهم عند عودتهم إلى بلدانهم التي قدموا منها، كما نقلوها إلى الأمصار التي زاروها بعد دمشق، حيث قام العديد منهم برواية العلوم الدمشقية التي سمعوها في الأمصار التي دخلوها من العالم الإسلامي قبل عودتهم إلى بلدانهم التي قدموا منها. ولعل من الأمثلة على ذلك قيام الحافظ السلفي بنقل كتب وروايات أهل الشام الى أهل مصر (Ibn'Asākir 1995:5/208).

الخاتمة:

خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج الأساسية لعل أهمها:

أولاً: رصد زيارة مئة وخمسة من العلماء وطلبة العلم إلى دمشق في الفترة مدار البحث.

ثانياً: تعددت أسباب زيارة العلماء لدمشق حيث بلغت الأسباب تسعة أسباب، مع وجود بعض الزيارات التي لم يحدد سببها ابن عساكر، ولم تستطع الدراسة تحديدها بعد التمعن في قراءة ما قدمه عنها.

ثالثاً: نشطت الزيارات إلى دمشق بشكل كبير بعد سنة 500هـ/1106م، ويعود السبب إلى ازدهار دمشق، وتقطع الكثير من الطرق بين الشرق الإسلامي والغرب الإسلامي بسبب الغزو الصليبي مما جعل دمشق هي الممر الآمن لتلك التنقلات.

رابعاً: كانت مناطق خراسان وما وراء النهر ثم العراق والأندلس أبرز المناطق التي قدم منها العلماء لزيارة دمشق.

خامساً: غلب على العلماء الذين زاروا دمشق في هذه الفترة علوم الحديث، والفقه، والقراءات، وعلوم اللغة والنحو.

سادساً: أدت زيارة العلماء لدمشق إلى تنشيط واضح للحركة العلمية والثقافية في مدينة دمشق في الفترة مدار البحث.

References:

Ibn al-Athīr, (2012). ʻAlīibn Muḥammad (died: 630 A.H /1232 A.D), al-Kāmilfī al-tārīkh, Bayrūt : Dār al-Kitāb al-ʻArabī,.

Ibnʻ Asākir, (1995). ʻAlīibnal-Ḥasan (died: 571 A.H/1175 A.D), Tārīkh madīnat Dimashq, Taḥqīq: 'Umar 'Amrawi, Bayrū: Dār al-Fikr, t.

Ibn Khallikān, (1977). Aḥmad ibn Muḥammad (died: 681/1282 A.D), Wafayāt al-aʻyānwa-anbāʾabnāʾal-zamān, Taḥqīq: Iḥsānʻ Abbās, Bayrūt: Dār Ṣādir,.

Al-Dhahabī, (2003). Muḥammad ibn Aḥmad (died: 748 A.H /1348 A.D), Tārīkhal-Islāmwa-wafayātal-mashāhīrwa-al-aʻlām, Taḥqīq: Bashshār ʻAwwād Maʻrūf, Bayrūt: Dār al-Gharbal-Islāmī,.

Al-Dhahabī, (1996). Muḥammad ibn Aḥmad (died: 748 A.H /1348 A.D), Siyaraʻlāmal-nubalāʾ, ashrafaʻalá taḥqīqal-kitābwa-kharrajaaḥādīthahu: Shuʻaybal-Arnaʾūṭ, Bayrūt : Muʾassasatal-Risālah,.

Al-Dhahabī, (1988). MuḥammadibnAḥmad (died: 748 A.H /1348 A.D), Maʻrifatal-qurrāʾal-kibārʻaláal-ṭabaqātwa-al-aʻṣār, Taḥqīq: BashshārʻAwwādMaʻrūfwa-Shuʻaybal-Arnāʾūṭwa-Ṣāliḥ Mahdīʻ Abbās, Bayrūt : Muʾassasatal-Risālah,.

Al-Naimi(1990). AbdulKadiribnMuhammed (died:978 A.H /1570 A.D), EdDars Fi Tarhulmedaris, the investigation of Ibrahemshmsalden, Bayrū: Dār al-Kutubal-ʻIlmīyah, t.

Salafi (1993). Abu Taher Ahmed bin Mohammed (died. 576 AH / 1176 AD), mu‹jam al-safar, the investigation of Abdullah Baroudi, Beirut: Dar al-Fikr,.

Sibtibn al-Jawzī, (2013). YūsufibnQazʾūghlī (died: 654 A.H /1256 A.D), Mirʾātal-zamān fīTawārīkhal-aʻyān, Taḥqīq: Ibrāhīm al-Zaybaqwa-ākharūn, Dimashq: Dāral-Risālahal-ʻĀlamīyah,.

al-Samʻānī, (1988). ʻAbdal-KarīmibnMuḥammad (died: 562 A.H /1166 A.D), al-Ansāb, taḥqīq: ʻAbdAllāhal-Bārūdī, Bayrū: Dāral-Jinān, t.

al-Ṣafadī, (1974). KhalīlibnAybak (died: 764 A.H /1362 A.D), al-Wāfī bi-al-wafayāt, bi-iʻtinā': S. Dedering, Wiesbaden: Dār al-Nashr Franz Steiner,.

Ibnal-ʻImād, (1991). *ʻAbdal-ḤayyibnAḥmad* (died: 1089 A.H /1678 A.D), Shadharāt al-dhahab fīakhbār man dhahab, taḥqīq: Maḥmūdal-Arnāʾūṭ, DārIbnKathīr, Dimashq - Bayrūt.

Yāqūt,(1990). *Yāqūtibnʻ AbdAllāhal-Ḥamawī*, (died: 626 A.H /1228 A.D), Muʻjam al-odaba, Dār al-Gharbal-Islāmī, Bayrūt.

Muṣṭafá, Shākir, (1987). *al-tārīkh al-ʻArabīwa-al-muʾarrikhūn*, Dār al-ʻIlmlil-Malāyīn, Bayrūt.

Okleh, I. (2012). Al-Nawikyah in Bild ad al Sham A study of their origin, *Jordan Journal For History And Archaeology*, University of Jordan, Amman, 2(6), 32- 53.

Okleh, I. (2017). Scholars Sunni Visits to Jerusalem under the Crusader occupation, *Journal For History And Archaeology*, University of Jordan, Amman, 3(11), 1-23.